

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٧٣) [النحل: 73]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

ورود الآية جاء تبييناً لقوله تعالى: ﴿أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 72]، حيث نعى عليهم فسادَ نظرهم في عبادة ما لا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ مِنْهُ ما يَسْعَى عَابِدُهُ فِي تَحْصِيلِهِ مِنْهُ، وهو الرِّزْقُ، ولا هو في استطاعته فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾⁽¹⁾.

وإنَّ الله تعالى لما شَرَحَ الدَّلَائِلَ الدَّالَّةَ عَلَى صِحَّةِ التَّوْحِيدِ، وَاتَّبَعَهَا بِذِكْرِ أَقْسَامِ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ؛ أَتْبَعَهَا بِالرَّدِّ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ⁽²⁾.
وَبَعْدَ أَنْ عَدَّدَ اللَّهُ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ نِعْمَهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْمُخَاطَبِينَ، وَأَنَّهُ رَزَقَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَزْوَاجًا وَبَنِينَ وَحَفَدَةً؛ كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ لِنِعْمِهِ، وَفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ عَبَدُوا غَيْرَهُ مِمَّنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ، لِذَلِكَ رَدَّ عَلَيْهِمْ مُبْطِلًا مَذْهَبَ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ مَبِينًا عَجَزَ هَذِهِ الْمَعْبُودَاتِ⁽³⁾، فَقَالَ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿دُونِ﴾: أَصْلُ (دَوْن)؛ يَدُلُّ عَلَى الْمُدَانَةِ وَالْمُقَارَبَةِ، يُقَالُ: هَذَا دُونَ ذَاكَ؛ أَيُّ: هُوَ أَقْرَبُ مِنْهُ، وَلَا يُشْتَقُّ مِنْهُ فِعْلٌ، وَيُقَالُ فِي الْإِغْرَاءِ⁽⁴⁾، وَدَوْنٍ: ظَرَفُ مَكَانٍ وَيُعْبَرُ بِهِ عَنِ الْمَنْزِلَةِ الدُّنْيَا⁽⁵⁾، وَدَوْنٍ:

العلاقة بين
إغداق النعم،
وبيان عجز من
لا يملك رزقا ولا
استطاعة

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 6 / 565.

(2) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 12 / 120، والرازقي، مفاتيح الغيب: 20 / 245.

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 13 / 8083.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دَوْن).

(5) السمين الحلي، عمدة الحفاظ: 2 / 33.

تقيضُ فوق، وهو تَقْصِيرٌ عن الغاية، والدُّونُ: الحَقِيرُ الخَسِيسُ، ودون تأتي بِمَعْنَى: (على، بَعْدَ، عِنْدَ، أمام، وراء، غير، ضدَّ، أَقَلُّ من ذا، أَنْقَصَ من ذا)⁽¹⁾ والمقصود بـ﴿دُونِ﴾ في الآية: نقيضُ فوق، والمراد بقوله تعالى: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أَنَّهُمْ عَبَدُوا مَا لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَلَا بِيَدِهِ نِعْمَةٌ، وهو الأصنامُ؛ لَأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ مَا يَأْتِيهِمْ مِنَ الرِّزْقِ لاحتياجها، ولا تَسْتَطِيعُ رِزْقَهُمْ لِعَجْزِهَا⁽²⁾، أو كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ صَنَمٍ أَوْ وَثْنٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةِ⁽³⁾.

(2) ﴿يَمْلِكُ﴾: أَصْلُ (ملك) يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ وَصِحَّةٍ، يُقَالُ: أَمَلَكَ عَجِينَهُ: قَوَّى عَجْنَهُ وَشَدَّهُ، وَمَلَكَتُ الشَّيْءَ: قَوَّيْتُهُ، وَالْأَصْلُ هَذَا، ثُمَّ قِيلَ: مَلَكَ الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ يَمْلِكُهُ مَلَكًا، وَالاسْمُ الْمَلِكُ؛ لِأَنَّ يَدَهُ فِيهِ قُوَّةٌ صَحِيحَةٌ⁽⁴⁾، وَالْمَلِكُ ضَرْبَانِ: مَلِكٌ هُوَ التَّمْلِكُ وَالتَّوَلَّى، وَمَلِكٌ هُوَ الْقُوَّةُ عَلَى ذَلِكَ، تَوَلَّى أَوْ لَمْ يَتَوَلَّ، وَالْمَلِكُ: ضَبَطُ الشَّيْءِ الْمُتَصَرَّفِ فِيهِ بِالْحُكْمِ، وَالْمَلِكُ: هُوَ الْمُتَصَرَّفُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي الْجُمْهُورِ، وَذَلِكَ يَخْتَصُّ بِسِيَاسَةِ النَّاطِقِينَ⁽⁵⁾ والمقصود بالملك في الآية: القُدْرَةُ، والمراد بملك الرِّزْقِ: القُدْرَةُ عَلَى إِعْطَائِهِ⁽⁶⁾.

(3) ﴿رِزْقًا﴾: أَصْلُ (رزق) يَدُلُّ عَلَى عَطَاءٍ لَوْفَتٍ، ثُمَّ يَحْمَلُ عَلَيْهِ غَيْرُ الْمَوْقُوتِ، فَالرِّزْقُ: عَطَاءُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ⁽⁷⁾، والرِّزْقُ: كُلُّ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ مَالٍ وَنَحْوِهِ، وَالْجَمْعُ: أَرْزَاقٌ⁽⁸⁾، وَالرِّزْقَةُ: الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ⁽⁹⁾، وَالرِّزْقُ بَفَتْحِ الرَّاءِ: الْعَطَاءُ الدَّائِمُ، يُقَالُ: رَزَقَ يَرْزُقُ رِزْقًا؛ أَيِ: أَعْطَى وَوَهَبَ، وَالرَّازِقُ: الْمُعْطِي وَهُوَ اللَّهُ⁽¹⁰⁾، وَكُلُّ مَا يَصِلُ إِلَى الْجَوْفِ وَيَتَغَذَّى بِهِ فَهُوَ رِزْقٌ، وَمِنْ مَعَانِي الرِّزْقِ أَيْضًا: الْكَسْبُ، الْهَبَةُ، الصَّدَقَةُ⁽¹¹⁾ والمقصود بالرِّزْقِ في الآية: مَا صَحَّ الْإِنْتِفَاعُ

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزَّيْدِيُّ، تاج العروس: (دون).

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 221/14.

(3) طنطاوَيْ، الوسيط: 197/8.

(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ملك).

(5) الرَّاعِب، المفردات: (ملك).

(6) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 221/14.

(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (رزق).

(8) ابن دريد، جمهرة اللُّغة، والْجَوْهَرِيُّ، الصَّحاح: (رزق).

(9) ابن عِتَاد، المحيط في اللُّغة: (رزق).

(10) ابن دريد، جمهرة اللُّغة: (رزق).

(11) ابن منظور، لسان العرب، والزَّيْدِيُّ، تاج العروس: (رزق).

به⁽¹⁾، والمعنى: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ سَبَبًا مِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ سواءَ الْغَيْثِ الَّذِي يَأْتِي مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ، أَوْ النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ الَّذِي تَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ نَفْعُهُمْ فِي شَيْءٍ⁽²⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا لَا تَمْلِكُ أَنْ تُعْطِيَهُمْ شَيْئًا مِنَ الرِّزْقِ؛ لَا مِنَ السَّمَاءِ كَالْمَطَرِ، وَلَا مِنَ الْأَرْضِ كَالزَّرْعِ، وَلَا تَقْدِرُ الْأَصْنَامُ وَالْمَعْبُودَاتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ تَرْزُقَ عَابِدِيهَا شَيْئًا؛ فَلَيْسَ لَهُمْ أَيُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِسْطَاعَةِ أَصْلًا، فَهَذِهِ صِفَةُ آلِهَتِهِمْ، فَكَيْفَ يَعْبُدُونَهَا مَعَ اللَّهِ؟⁽³⁾.

كُلُّ مَعْبُودٍ
سِوَى اللَّهِ ﷻ،
عَاجِزٌ عَنِ الرِّزْقِ
وَالْعَطَاءِ

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

دلالة عطف الآية على ما تَقَدَّمَ:

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾ عَطَفَ عَلَى جُمْلَتِي التَّوْبِيخِ، وهما قوله: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾^(٧٢)، والمعنى: هم يؤمنون بالباطل، ويكفرون بالله سبحانه وزيادة على ذلك يشكرون غيرَ اللَّهِ وهو المنعمُ ﷻ، وفي هذا الْعَطْفُ مَزِيدٌ مِنَ التَّوْبِيخِ؛ فَإِنَّ الْجُمْلَتَيْنِ الْمُعْطُوفَ عَلَيْهِمَا أَفَادَتَا تَوْبِيخًا عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِالْأَلْهَةِ الْبَاطِلَةِ، وَكُفْرِهِمْ بِنِعْمَةِ الْمَعْبُودِ الْحَقِّ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ الْمُعْطُوفَةُ أَفَادَتِ التَّوْبِيخَ عَلَى شُكْرِ مَا لَا يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ؛ فَإِنَّ الْعِبَادَةَ شُكْرًا، فَهُمْ عَبَدُوا مَا لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ، وَلَا بِيَدِهِ نِعْمَةٌ، وَهِيَ الْأَصْنَامُ؛ لِأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ مَا يَأْتِيهِمْ مِنَ الرِّزْقِ لِأَحْتِيَاجِهَا، وَلَا تَسْتَطِيعُ رِزْقَهُمْ لِعَجْزِهَا؛ فَمَضَادُّ هَذِهِ

الْمَزِيدُ مِنَ
التَّوْبِيخِ، مَعَ
اِخْتِلَافٍ مُوجِبِهِ،
فَمَعَ الْكُفْرِ شُكْرُ
مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 410.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 13/ 141، ودرزوة، التفسير الحديث: 5/ 159.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 305، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 146، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 588. قال السَّعْدِيُّ: (غَيْرُ الْمَالِكِ لِلشَّيْءِ رَبِّمَا كَانَ لَهُ قُوَّةٌ وَاقْتِدَارٌ عَلَى مَا يَنْفَعُ مَنْ يَبْصُلُ بِهِ، وَهَؤُلَاءِ لَا يَمْلِكُونَ وَلَا يَقْدِرُونَ)، تيسير الكريم الرَّحْمَن، ص: 445.

الجملة مؤكَّدة لمفاد ما قَبَلَهَا مع اختلافِ الاعتبارِ بموجبِ التَّوْبِيخِ في كِلْتَيْهِمَا⁽¹⁾.

دلالة التَّعْبِيرِ بِالْمُضَارِعِ فِي: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾:

في شِرْكِهِمْ دَلِيلٌ
عَلَى كِبَرِهِمْ
وَجَهْلِهِمْ، وَفِي
تَصْوِيرِهِ تَنْفِيرٌ
لَهُمْ مِنْهُ

عَبَّرَ الْبَيَانُ الْقِرَائِيُّ عَنْ عِبَادَتِهِمْ لَغَيْرِ اللَّهِ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ﴾، مَعَ أَنَّ هَذِهِ الْعِبَادَةَ سَبَقَتْ نَزُولَ الْآيَةِ: لِأَمْرَيْنِ:

الأوَّل: الدَّلَالَةُ عَلَى التَّجَدُّدِ الْحُدُوثِيِّ وَالِاسْتِمْرَارِ فِي عِبَادَتِهِمْ لِمَنْ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، بِمَا يَدُلُّ عَلَى مُكَابَرَتِهِمْ وَقُبْحِ حَالِهِمْ.

الثَّانِي: إِفَادَةُ تَصْوِيرِ خُضُوعِهِمْ وَذُلِّهِمْ، لِمَنْ لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا اسْتَطَاعَةَ لَهُ لِنَفْعِهِمْ؛ لِيَحْمِلَهُمْ هَذَا التَّصْوِيرُ عَلَى النُّفُورِ مِمَّا هُمْ فِيهِ، وَالرُّجُوعِ إِلَى عِبَادَةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَشُكْرِ مَنْ يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ.

سُرْعُودُ الصَّمِيرِ فِي: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾:

لِلشَّرِكُونَ
يَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا

الصَّمِيرُ فِي ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾، عَائِدٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَهَذَا مَفْهُومٌ مِنَ السِّيَاقِ الَّذِي هُوَ تَقْرِيعٌ وَتَوْبِيخٌ لِلْمُشْرِكِينَ، وَإِظْهَارٌ لِفَسَادِ نَظَرِهِمْ، وَرَدٌّ عَلَيْهِمْ فِي عِبَادَتِهِمْ لِلْأَصْنَامِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَنْهُمْ فِي عِدَدٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ.

مَعْنَى حَرْفِ الْجَرِّ ﴿مِنْ﴾، فِي سِيَاقِ الْآيَةِ:

أَوْثَانُهُمُ الَّتِي
يَعْبُدُونَهَا مِنْ
دُونِ اللَّهِ،
مُخَالَفَةً لِصِفَاتِ
اللَّهِ

﴿مِنْ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حَرْفُ جَرٍّ، يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ: **الأوَّل:** لِلتَّأْكِيدِ، إِنْ كَانَتْ ﴿دُونِ﴾ بِمَعْنَى غَيْرٍ، وَالْمَعْنَى: وَيَعْبُدُونَ أَوْثَانًا غَيْرَ اللَّهِ، وَالثَّانِي: ابْتِدَائِيَّةً، إِنْ كَانَتْ كَلِمَةً ﴿دُونِ﴾ اسْمًا

(1) أَبُو حَتَّىانَ، الْبَحْرُ الْحَيْطُ: 6/ 565، وَأَبُو السَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 5/ 128، وَابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 14/ 221.

للمكانِ المُبَاعِدِ، فهي إِذَنْ مُسْتَعَارَةٌ لِمَعْنَى المَخَالَفَةِ، والمعنى: يَعْبُدُونَ أَوْثَانًا مَوْصُوفَةً بِأَنَّهَا مَخَالَفَةٌ لِصِفَاتِ اللَّهِ⁽¹⁾.

دلالة التعبير بالدونية في قوله: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾:

عبرَ البيانُ الإلهي بلفظ ﴿دُونِ﴾ استعارةً لمعنى المخالفة؛ إذ إنَّ من معاني ﴿دُونِ﴾ أَنْ تكونَ اسمًا للمكانِ المُبَاعِدِ، "فَهُمْ عَبَدُوا مَا لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَلَا بِيَدِهِ نِعْمَةٌ، وَهِيَ الْأَصْنَامُ؛ لِأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ مَا يَأْتِيهِمْ مِنَ الرِّزْقِ لاحتياجِها، وَلَا تَسْتَطِيعُ رِزْقَهُمْ لِعَجْزِها"⁽²⁾.

الغرض من إظهار ﴿اللَّهُ﴾، في موضعٍ ضمَّاره:

جاء الاسم الجليل ﴿اللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ﴾ صريحًا لا مُضْمَرًا، فَلَمْ يَقُلْ سُبْحَانَهُ: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ)؛ تربيةً للمهابة في النفوس، وذلك بِذِكْرِ الاسمِ الأعْظَمِ الجامعِ لكلِّ صفاتِ الجلالِ والجمالِ والكمالِ، وَخَاصَّةً أَنَّ السِّيَاقَ هو سياقُ مَهَابَةٍ وَتَعْظِيمٍ لِنِعَمِ اللَّهِ، وَانْتِصَارٍ لِلْحَقِّ وَحُجَجِهِ، وَهَذَا يَتَضَمَّنُ تَعْرِيفًا بِفَظَاعَةِ وَسْوَءٍ وَقَبِيحٍ فَعَلَهُمْ؛ وَهُوَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْمُتَفَضَّلِ الْمُسْتَحَقِّ لِلْعِبَادَةِ سُبْحَانَهُ لِذَاتِهِ وَلِإِنْعَامِهِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَى عِبَادَةِ مَنْ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلِذَلِكَ فَسَّرَ الْبِقَاعِيُّ الْآيَةَ فَقَالَ: "وَيَعْبُدُونَ مِنْ غَيْرِ مَنْ لَهُ الْجَلَالُ وَالْإِكْرَامُ مِمَّا هُوَ فِي غَايَةِ السُّفُولِ، مِنَ الْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا"⁽³⁾.

سرُّ التعبير باسمِ الوصول ﴿مَا﴾:

﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ﴾ اسمِ مَوْصُولٍ، وَهِيَ "كُنَايَةٌ عَنْ مَعْبُودَاتِهِمُ الْبَاطِلَةِ، فَهِيَ مَفْرَدَةٌ لَفْظًا، مَجْمُوعَةٌ مَعْنَى"⁽⁴⁾، وَهِيَ الْأَصْنَامُ؛ بِدَلَالَةِ السِّيَاقِ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ تَتَكَلَّمُ عَنْ حَالِ كِفَارٍ قَرِيشٍ، وَقَدْ

الأصنامُ
العاجزة، لا
تستحقُّ العبادة
من دونِ الله

تقديمُ ما هو
غايةُ السُّفُولِ،
على العَظِيمِ
الأَجَلِّ، من
سفاهةِ العقولِ

بيانُ أنَّ
معبوداتهم
باطلة، لا تملك
نفعًا لها ولا لهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 225 / 20.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 221 / 14.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 213 / 11.

(4) طنطاوي، الوسيط: 198 / 8.

عَبَّرَ بِاسْمِ المَوْصُولِ ﴿مَا﴾ لِلتَّعْمِيمِ؛ لِأَنَّهُ أَعْمُ المَوْصُولَاتِ وَأَدْخَلَهَا فِي الإِبْهَامِ لِيَشْمَلَ كُلَّ أَنْوَاعِ المَعْبُودَاتِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، الْعَاقِلِ مِنْهَا وَغَيْرِ الْعَاقِلِ، فَالْلَفْظُ يَعْمُ كُلُّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ عَاقِلٍ وَغَيْرِ عَاقِلٍ؛ لِأَنَّهُمَا فِي الْحُكْمِ سَوَاءٌ⁽¹⁾؛ فَهُمَا لَا يَمْلِكَانِ رِزْقًا لِأَحَدٍ؛ لِأَنَّ الرَّازِقَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَلَا أَحَدَ مَعَهُ، وَمَا نَرَاهُ مِنْ صَوَرٍ إعْطَاءِ الْبَشَرِ الرِّزْقَ لِلْبَشَرِ، فَإِنَّمَا هُمْ نَقْلَةٌ يُنْفَذُونَ مَشِيئَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِيمَا قَسَمَ مِنَ الْأَرْزَاقِ، أَمَّا هُمْ فَلَا يَمْلِكُونَ مِنْ أَمْرِ الرِّزْقِ فِي الْحَقِيقَةِ شَيْئًا⁽²⁾.

دلالة التعبير بـ ﴿يَمْلِكُ﴾ مادةً وصيغةً:

عَبَّرَ الْبَيَانُ الْقِرْآنِيُّ بِلَفْظِ ﴿يَمْلِكُ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ﴾؛ لِاتِّسَاعِ دِلَالَتِهَا؛ إِذْ أَصْلُ (مَلَك) فِي اللُّغَةِ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ وَصِحَّةٍ⁽³⁾، وَمِنْ مَعَانِي الْمَلِكِ: الْعِظَمَةُ وَالسُّلْطَانُ، وَالَّذِي يَمْلِكُ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى احْتِوَاءِ الشَّيْءِ الَّذِي يَمْلِكُهُ وَضَبْطُهُ، وَلَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى الْاسْتِبْدَادِ بِهِ، وَالتَّصَرُّفِ فِيهِ بِالْحُكْمِ⁽⁴⁾.

أَمَّا مِنْ حَيْثُ الصِّيغَةُ؛ فَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْقِرْآنُ صِيغَةَ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمَنْفِيِّ، ﴿لَا يَمْلِكُ﴾ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى تَجَدُّدٍ وَاسْتِمْرَارٍ هَذَا النَّفْيِ، فَالْأَصْنَامُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا عَاجِزَةٌ وَعَدَمُ مَلِكِيَّاتِهَا لِلرِّزْقِ مُسْتَمَرٌّ وَمُتَجَدِّدٌ، كَمَا أَنَّ التَّعْبِيرَ بِلَفْظِ ﴿يَمْلِكُ﴾ مِنْ حَيْثُ مَادَّتُهَا وَصِيغَتُهَا يَتَنَاسَبُ مَعَ السِّيَاقِ الَّذِي أَتَى لِتَوْبِيخِ الْكُفَّارِ وَتَقْرِيعِهِمْ، وَإِظْهَارِ فُسَادِ عَقُولِهِمْ، وَإِثْبَاتِ عَجْزِ الْأَصْنَامِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا، فَنفْيُ مَلِكِيَّاتِهَا لِأَيِّ رِزْقٍ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يُثَبِّتُ عَجْزَهَا غَايَةَ الْعَجْزِ وَعَدَمَ أَلُوْهِيَّتِهَا، وَأَنَّ الْقَادِرَ عَلَى الْمَلِكِ وَالرِّزْقِ هُوَ وَحْدَهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ.

(1) ومثله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (النحل: 49)، فقد اشترك العاقل وغير العاقل في حكم السجود لله سبحانه.

(2) القدومي، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، ص: 147.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ملك).

(4) ابن سيده، المحكم، والزبيدي، تاج العروس: (ملك).

في تجدد انتفاء
ملك الأصنام
للرزق، إثبات
لعجزها غاية
العجز

دلالة اللَّام في شبه الجملة ﴿لَهُمْ﴾:

(لام) لهم في قوله تعالى: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ﴾ للاختصاص، وقد أفادت تخصيص نَفْيِ مَلِكِهِم الرِّزْقَ بالجارِّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾، ولو قال سبحانه: (وَيَعْبُدُونَ مَنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ رِزْقًا)، بدون ﴿لَهُمْ﴾ لدلَّ على أنَّهم لا يملكون أيَّ رِزْقٍ لأيِّ أحدٍ، ولكنَّ سرَّ مَجِيءِ التَّخصيص بالجارِّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مَنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾، يكمن في أنَّ الآية جاءت رَدًّا على الكافرين الذين يعبدون غيرَ الله؛ ولذا ناسبَ التَّخصيص؛ زيادةً في بيان خطئهم، وفي نَفْيِ مَلِكِ المعبودين من دون الله الرِّزْقَ لمن يعبدونهم نَفْيًا بالأوَّلَى أَنْ يَمْلِكُوا الرِّزْقَ لأيِّ أحدٍ؛ لأنَّهم إذا كانوا لا يستطيعون أَنْ يَرْزُقُوا مَنْ يعبدهم ويتذلَّلُ إليهم، فكيف يَرْزُقُونَ مَنْ لا يعبدهم؟⁽¹⁾

مَنْ لَا يَمْلِكُ
الرِّزْقَ لِمَنْ
يعبده، أُحرى
أَنْ لَا يَمْلِكَهُ لِأَيِّ
أحدٍ

غرض تقديم شبه الجملة: ﴿لَهُمْ﴾ على المفعول:

قدَّم البيانُ الإلهيَّ شبهَ الجملة ﴿لَهُمْ﴾ على المفعول ﴿رِزْقًا﴾، في قوله تعالى: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ولم يقل: (لا يملك رِزْقًا لهم)؛ تأكيدًا لدلالة أنَّهم إنَّ كانوا لا يملكون الرِّزْقَ لِمَنْ يَعْبُدُهُمْ خاصَّةً، فهُم لا يملكون لغيرِ مَنْ يعبدهم بالأوَّلَى.

بيان أنَّ عجز
الأصنام، عجزٌ
مؤكد عن نقل
النفع للغير

سرَّ التعبير بلفظ ﴿رِزْقًا﴾ في السياق:

عبَّرَ البيانُ الإلهيُّ عن خيرات السَّماء والأرض التي لا تملكها الأصنام المزعومة بـ (الرِّزْق) في قوله تعالى: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ لأنَّ الرِّزْقَ هو الغايةُ المرجوةُ وهو النِّعمةُ الظَّاهرةُ التي أنعمَ بها ﷺ على عباده في حياتهم؛ من غذاء ولباس ومأوى وغيرها، وكلُّ ذلك كان في اختلاطِ ماءِ السَّماءِ بالأرض⁽²⁾؛

الرِّزْقُ قِوَامُ
الحياة، والنِّعمةُ
التي لا يستغني
عنها أحدٌ من
المخلوقات

(1) القدومي، التفسير البياني، ص: 147.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/ 356.

أَيَّ: عَبَّرَ بِمَا فِيهِ قِوَامُ حَيَاتِهِمْ، وَهُوَ الْأَمْرُ الْجَلِّيُّ الْوَاضِحُ لِكُلِّ أَحَدٍ؛
لَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَحْتَاجُ إِلَى الرَّزْقِ.

الغَرَضُ مِنْ تَنْكِيرِ ﴿رِزْقًا﴾ فِي السِّيَاقِ:

تَنْكِيرِ ﴿رِزْقًا﴾ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ لِلإِشْعَارِ بِقِلَّتِهِ وَنَفَاهَتِهِ، وَأَنَّ مَعْبُودَاتِهِمْ لَا تَمْلِكُ لَهُمْ أَيُّ شَيْءٍ مِنَ الرَّزْقِ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ تَأْفِهُا حَقِيرًا⁽¹⁾، وَالْعَجْزُ عَنْ امْتِلَاكِ الرَّزْقِ الْقَلِيلِ عَجْزٌ عَنْ امْتِلَاكِ الرَّزْقِ الْكَثِيرِ.

دَلَالَةُ الْمَوْقِعِ النَّحْوِيِّ لَجُمْلَةِ ﴿مَا لَا يَمْلِكُ﴾:

﴿مَا﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾ اسْمُ مَوْصُولٍ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٍ بِهِ، وَجُمْلَةُ ﴿مَا لَا يَمْلِكُ﴾ صِلَةُ الْمَوْصُولِ، لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ⁽²⁾، وَمَعْنَاهَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْمَفْسَّرُونَ عَلَى قَوْلَيْنِ:

الْأَوَّلُ: مَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَرْزُقَهُمْ شَيْئًا لَا مِنَ السَّمَاوَاتِ مَطَرًا، وَلَا مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا، وَذَلِكَ بِاعْتِبَارِ ﴿رِزْقًا﴾ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ، وَالثَّانِي: لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا قَلِيلًا كَأَنَّكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَذَلِكَ بِاعْتِبَارِ ﴿رِزْقًا﴾ اسْمًا لِلْمَرْزُوقِ⁽³⁾.

دَلَالَةُ الْارْتِقَاءِ بِعَطْفِ الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ:

أَفَادَ التَّعْبِيرُ بِالْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾، نَوْعًا مِنَ الْارْتِقَاءِ فِي الْاسْتِدْلَالِ عَلَى بُطْلَانِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ الْحَقَّ ﷻ قَالَ عَنْهُمْ فِي آيَةٍ سَابِقَةٍ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۖ﴾ [النحل: 20]، فَتَنَفَى عَنْهُمْ الْقُدْرَةُ عَلَى الْخَلْقِ؛ بَلْ إِنَّهُمْ هُمْ الْمَخْلُوقُونَ، فَلَمَّا نَفَى عَنْهُمْ الْقُدْرَةَ عَلَى الْخَلْقِ أَرَادَ هُنَا أَنْ يَتَرَفَّقَى فِي الْاسْتِدْلَالِ، فَتَنَفَى عَنْهُمْ مَجَرَّدُ أَنْ

العَجْزُ عَنْ
امْتِلَاكِ الرَّزْقِ
الْقَلِيلِ، عَجْزٌ
عَنْ امْتِلَاكِ
الرَّزْقِ الْكَثِيرِ

بَيَانُ أَنَّ
أَصْنَامَهُمْ لَا
تَقْدِرُ عَلَى تَوْفِيرِ
مَقُومَاتِ الْحَيَاةِ
لَهُمْ

بَيَانُ تَقْرِيرِ
عَجْزِهِمْ، عَنْ
الْخَلْقِ وَالْمَلِكِ

(1) طَنْطَاوِي، الْوَسِيطُ: 8 / 198.

(2) الدَّرَوَيْش، إِعْرَابُ الْقُرْآنِ وَبَيَانُهُ: 339 / 5.

(3) التَّسْفِي، مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ: 2 / 224، وَأَبُو السَّعُود، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 5 / 128.

يَمْلِكُوا، فقد يملك الواحدُ ما لا يَخْلُقُه، فَأَتَتْ آيَةُ هُنَا لِتُقَرَّرَ أَنَّهُمْ حَتَّى مَجَرَّدُ الْمَلِكِ لَا يَمْلِكُونَ⁽¹⁾.

معنى حَزَفِ الْجَرِّ ﴿مِنْ﴾ في سياق الآية:

حَزَفُ الْجَرِّ ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، لابتداء الغاية؛ والمعنى إمَّا: "لا يملكون لكم رزقًا موصوفًا بِوُجُودِهِ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"⁽²⁾، باعتبار ﴿مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُتَعَلِّقًا بِمَحْذُوفٍ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لـ ﴿رِزْقًا﴾ الَّذِي هُوَ اسْمٌ لِمَا يُرَزَّقُ (المرزوق)؛ "أَي: كَائِنًا مِنْهُمَا"⁽³⁾.

تعدُّد غاية حَزَفِ
المعنى (من)،
ثراءً في المعنى

أَوْ: لَا يَرِزِقُونَ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَطَرًا، وَلَا مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا، باعتبار ﴿مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُتَعَلِّقًا بِنَفْسِ ﴿رِزْقًا﴾ إِنْ جَعَلْنَاهُ مُصَدَّرًا⁽⁴⁾.
أَوْ: لَا يَمْلِكُونَ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رِزْقًا لَهُمْ، باعتبار ﴿مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، مُتَعَلِّقًا بِـ ﴿يَمْلِكُ﴾ سِوَاءَ أَكَّانِ ﴿رِزْقًا﴾ مُصَدَّرًا أَمْ اسْمًا لِلْمَرَزُوقِ⁽⁵⁾.

دلالة (اللَّامِ) في لَفْظِي ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:

الَّلَامِ فِي لَفْظَتِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جَنَسِيَّةٌ، تُفِيدُ الْعُمُومَ؛ فَهِيَ تَشْمَلُ جَنَسَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ؛ أَيْ: مَا فِيهَا وَمَا فَوْقَهَا وَمَا تَحْتَهَا مِنْ رِزْقٍ، وَتَشْمَلُ جَنَسَ الْأَرْضِ كُلِّهَا، وَكُلَّ مَا فِيهَا⁽⁶⁾، وَفِي الْعُمُومِ دَلَالَةٌ عَلَى الْمَبَالِغَةِ فِي إِثْبَاتِ عَجْزِ مَعْبُودَاتِهِمْ عَنْ أَنْ تَمْلِكَ أَيْ رِزْقٍ مِنْ جَنَسِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِكُلِّ مَا فِيهِمَا، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِـ ﴿السَّمَوَاتِ

ففي إرادة
العموم،
مبالغة في إثبات
عجز معبوداتهم

(1) الشَّعْرَاوِيُّ، تَفْسِيرُ الشَّعْرَاوِيِّ: 8085 / 13.

(2) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 221 / 14.

(3) أَبُو السَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 128 / 5.

(4) الرَّمْخَشَرِيُّ، الْكُشَافُ: 621 / 2، وَالتَّسْفِي، مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ: 224 / 2.

(5) ابْنُ عَادِلٍ، اللَّيَابُ: 120 / 12.

(6) ابْنُ جَرِيرٍ، جَامِعُ الْبَيَانِ: 103 / 15، وَالبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الدَّرَرِ: 140 / 9، وَأَبُو زَهْرَةَ، زَهْرَةُ التَّفَاسِيرِ:

وَالْأَرْضِ ﴿جنسُهُمَا صَحَّةٌ عَطْفُ الْأَرْضِ عَلَى السَّمَاوَاتِ؛ إِذْ هُوَ عَطْفٌ جَنَسٍ عَلَى جَنَسٍ، لَا عَطْفُ الْجَمْعِ عَلَى الْمَفْرَدِ، حَتَّى يَلْزِمَ تَرْكُ الْأَوَّلَى مِنْ رِعَايَةِ التَّطَابُقِ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ⁽¹⁾﴾.

بِلَاغَةِ الْإِطْنَابِ بِذِكْرِ مَحَلِّ الرِّزْقِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:

أَطْنَبَ الْبَيَانَ الْإِلَهِيَّ بِذِكْرِ مَحَلِّ الرِّزْقِ بِذِكْرِ لَفْظَتِي «السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، وَلَمْ يَقُلْ: (وَيَعْبُدُونَ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ)، مَعَ أَنَّ الرِّزْقَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ لِأَمْرَيْنِ: **الأَوَّلُ:** لِلتَّذْكِيرِ بِأَحْوَالِ الرِّزْقِ؛ لِيَكُونَ أَقْوَى حُضُورًا فِي الدَّهْنِ، فَالرِّزْقُ مِنَ السَّمَاءِ: الْمَطَرُ، وَالرِّزْقُ مِنَ الْأَرْضِ: النَّبَاتُ كُلُّهُ مِنْ حَبٍّ وَثَمَرٍ وَكَأَلًا⁽²⁾، وَهَذَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَحَقِّقَ الْغَايَةَ فِي إِثْبَاتِ عَجْزِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ، فِي أَنْ تَمْلِكَ ذَلِكَ أَوْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَمْلِكَهُ.

الثَّانِي: لِأَنَّ أَهْلَهُمُ الْمَزْعُومَةَ، إِذَا كَانَتْ لَا تَمْلِكُ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ أَيَّ رِزْقٍ فِي أَيِّ مَكَانٍ.

سَرَّ عَدَمَ اقْتِصَارِ الرِّزْقِ عَلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ:

لَمْ يَقْصِرِ الْقُرْآنُ الرِّزْقَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» عَلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ (السَّمَاءِ أَوْ الْأَرْضِ)، وَإِنَّمَا جَمَعَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ فَقَالَ: «مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»؛ أَيُّ: مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنْهُمَا جَمِيعًا؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مُنْتَهَى عَجْزِ الْمَعْبُودَاتِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا، وَتَأْكِيدِ بَطْلَانِ شُرَكَاهُمْ وَعِبَادَتِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

غَرَضُ تَقْدِيمِ السَّمَاوَاتِ عَلَى الْأَرْضِ، فِي السِّيَاقِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: «مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، قَدَّمَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ذِكْرَ السَّمَاوَاتِ عَلَى الْأَرْضِ؛ لِأُمُورٍ:

تصوير
واستحضار
ذهني لأحوال
الرَّزْقِ، لإثبات
عجز أصنامهم

نفي ملك
للمعبودات للرَّزْقِ
من الجهات،
دليل على غاية
عجزها

رِزْقُ السَّمَاءِ
أدل على كمال
القُدرة الإلهية،
وعجز أصنامهم
الوهمية

(1) إسماعيل حقي، روح البيان: 363 / 5، والهريري، حقائق الروح والزَّيْحَان: 256 / 17.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 155 / 11.

الأَوَّل: مراعاةً لسبْقِ الرِّزْقِ وأهمِّيَّته، فنزول الماء من السَّمَاء هو أوَّل أسباب الرِّزْق وأهمُّها.

الثَّاني: مراعاةً لسبْقِ خَلْقِهَا على خَلْقِ الأرض⁽¹⁾؛ فقُدِّمَت السَّمَاوَاتُ على الأرضِ مراعاةً لترتيبِ الوجود.

الثَّالث: لأنَّ السَّمَاوَاتِ أعْظَمُ من الأرضِ شَأْنًا وَخَلْقًا، وأشرفُ ذَاتًا وَصِفَةً⁽²⁾، فهي متعبِّدُ الملائكةِ المُقَدَّسين على تفاوتِ مراتبهم، وقِبْلَةُ الدُّعَاء، ومِعْرَاجُ الأرواحِ الطَّاهِرة، ولا معاصي ومُنْكَرَات تحصل فيها، بخِلاف الأرضِ الَّتِي وإنَّ كان فيها الأنبياء فقد وَقَعَتْ فيها المعاصي، وَحَوَّتِ المُفْسِدِينَ⁽³⁾، ولذا فتقديم ذكرِ السَّمَاوَاتِ من باب التَّدْرِجِ من الأعلى إلى الأدنى.

الرَّابِع: لأنَّ نزول الرِّزْقِ من السَّمَاءِ أعْجَبُ وأدْلُ على كمالِ قُدْرَتِهِ سبحانه وكَمَالِ عَجْزِ أَصْنَامِهِمْ.

الخامس: لأنَّ الأسبابَ السَّمَاوِيَّةَ من نزولِ المطر، وحرارةِ الشَّمْس، وغير ذلك بمنزلةِ الفاعل، وأمَّا الأسبابُ الأرضيَّةُ من التَّربة وغيرها بمنزلةِ القابل، فقُدِّمَ الفاعل على القابل⁽⁴⁾.

السادس: موافقةً لعادةِ القرآنِ الَّتِي هي تقديمُ السَّمَاوَاتِ على الأرضِ، وَلَمْ تَتَقَدَّمِ الأرضُ على السَّمَاوَاتِ إِلَّا استثناءً.

سَرَّ جَمْعِ ﴿السَّمَوَاتِ﴾ وإِفرادِ ﴿وَالْأَرْضِ﴾:

من محسِّنات الكلام المؤاخاة بين الألفاظ، وقد عُدل عن ذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ فقد جُمِعَ أحدُ المتقابلين وهو ﴿السَّمَوَاتِ﴾ دون الآخر ﴿وَالْأَرْضِ﴾؛ وَحِكْمَةُ ذلك في أمور:

العَجْزُ عَنْ
الْأَفْخَامِ
وَالْأَشْرَفِ، عَجْزٌ
عَمَّا هُوَ دُونَهُ

(1) الماوردي، التَّكْت والعَيون: 2/ 92، وأبو حَيَّان، البحر المحيط: 2/ 83، والزَّركَشِي، البرهان في علوم القرآن: 3/ 255.

(2) الألوسي، روح المعاني: 8/ 468.

(3) الألوسي، روح المعاني: 4/ 77.

(4) حاشيتا القونوي وابن التَّمْجِيد على البيضاوي: 9/ 451.

الأَوَّل: الجَمْعُ أَبْلَغُ في التَّفْخِيمِ من الإفراد، وذلك لكون السَّمَاوَاتِ أَشْرَفَ من الأرض⁽¹⁾، والعَجْزُ عَنِ الْأَفْخَمِ والأَشْرَفُ عَجْزٌ عَمَّا هُوَ دُونُهُ. **الثَّانِي:** إرادة للسَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ولأَجْرَامِهَا الْعَظِيمَةِ ذاتِ النَّظَامِ الْخَاصِّ الْمُتَفَاوِتَةِ بِالصِّفَاتِ وَالْآثَارِ وَالْحَرَكَاتِ وَمَا فِيهَا مِنْ أَسْرَارٍ، وَأَمَّا الْأَرْضُ فَهِيَ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الصَّعِيدُ⁽²⁾، وَعَلَيْهِ يَكُونُ فِي الْجَمْعِ مِبَالِغَةٌ فِي إِظْهَارِ عَجْزِ مَعْبُودَاتِهِمْ.

الثَّالِث: تخفيفاً في النُّطْقِ؛ لِثِقَلِ جَمْعِ الْأَرْضِ وَمُخَالَفَتِهِ لِلْقِيَاسِ (أَرْضُونَ، أَرْضِينَ)، وَلِهَذَا لَمْ تَرِدْ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَلَمَّا أُرِيدَ الْجَمْعُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ (الطَّلَاق: 12)⁽³⁾.

بِلَاغَةُ الطَّبَاقِ بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ:

جَمَعَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ بَيْنَ لَفْظَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الْمَعْنَى، هُمَا: السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، بِمَا يَزِيدُ الْكَلَامَ حُسْنًا وَطَرَاةً، وَيَدُلُّ عَلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي تَشْمَلُ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا؛ فَهُوَ لَا يَرْزُقُ مِنَ السَّمَاءِ فَقَطْ، أَوْ مِنَ الْأَرْضِ فَقَطْ؛ بَلْ إِنَّ قُدْرَتَهُ تَشْمَلُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، وَيَدُلُّ فِي الْمَقَابِلِ عَلَى انْعِدَامِ قُدْرَةِ الْأَصْنَامِ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَهِيَ لَا تَمْلِكُ لِمَنْ يَعْبُدُهَا وَلَا لغيرِهِمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا لَا تَمْلِكُ لَهُمْ وَلَا لغيرِهِمْ ذَلِكَ مِنَ الْأَرْضِ كَذَلِكَ.

دَلَالَةُ الْمَوْقِعِ النَّحْوِيِّ لِقَوْلِهِ: ﴿شَيْئًا﴾:

فِي نَصَبِ ﴿شَيْئًا﴾ أَرْبَعَةٌ أَوْجُهُ:

الأَوَّل: أَنَّهُ نَائِبٌ عَنِ الْمَصْدَرِ مَنْصُوبٍ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ؛ أَيَّ: مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ شَيْئًا مِنَ الْمَلِكِ لَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا.

الثَّانِي: أَنَّهُ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ بـ ﴿رِزْقًا﴾؛ أَيَّ: مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ أَنْ يَرْزُقَهُمْ شَيْئًا.

تَقَابُلُ رِزْقِي
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
مُنْبِئٌ عَنِ كَمَالِ
قُدْرَةِ اللَّهِ وَعَجْزِ
مَا سِوَاهَا

لِلْبَالِغَةِ فِي تَأْكِيدِ
عَجْزِ الْكَفَّارِ عَنِ
امْتِلَاكِ الرِّزْقِ

(1) الْمَاوَرِدِيُّ، التَّكْتُ وَالْعَيُونُ: 92/2.

(2) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 77/2.

(3) السِّيُوطِيُّ، نَوَاهِدُ الْأَبْكَارِ وَشَوَارِدُ الْأَفْكَارِ: 355/2.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ مَنْصُوبٌ عَلَى الْبَدَلِيَّةِ مِنْ «رِزْقًا»؛ أَي: مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ شَيْئًا مِنَ الرِّزْقِ⁽¹⁾.

الرَّابِعُ: صِفَةُ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِقَوْلِهِ: «يَمْلِكُ»، وَالتَّقْدِيرُ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ مَلَكًا شَيْئًا؛ أَي: قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا، جَلِيلًا أَوْ حَقِيرًا⁽²⁾، وَعَلَى كُلِّ الْأَعَارِيبِ فَإِنَّ «شَيْئًا» تَدُلُّ عَلَى التَّأْكِيدِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي عَجْزِ الْأَصْنَامِ عَنْ امْتِلَاكِ الرِّزْقِ، وَالْقُدْرَةِ عَلَى امْتِلَاكِهِ، وَأَنْ يَرِزُقُوا عَابِدِيهِمْ حَتَّى أَحَقَرَ شَيْءٍ وَأَقَلَّهُ.

الْغَرَضُ مِنْ تَنْكِيرِ لَفْظِ «شَيْئًا»:

نَكَّرَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ «شَيْئًا» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا»؛ لِأَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: مُبَالَغَةٌ فِي الْمَنْفِيِّ، فَقَدْ جَاءَ التَّنْكِيرُ مُؤَكِّدًا تَعْمِيمَ هَذَا النَّفْيِ؛ لِأَنَّ «شَيْئًا» نَكْرَةٌ جَاءَتْ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ⁽³⁾؛ أَي: لَا يَمْلِكُونَ جُزْءًا قَلِيلًا مِنَ الرِّزْقِ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْبَدَلِيَّةِ مِنْ «رِزْقًا»، فَهُوَ فِي مَعْنَى الْمَفْعُولِ بِهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَا يَمْلِكُونَ لَهُمْ شَيْئًا مِنَ الرِّزْقِ⁽⁴⁾، قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا، جَلِيلًا أَوْ حَقِيرًا⁽⁵⁾.

الثَّانِي: التَّحْقِيرُ⁽⁶⁾؛ أَي: لَا يَمْلِكُونَ لَهُمْ شَيْئًا مِنَ الرِّزْقِ مَهْمَا كَانَ قَلِيلًا، وَإِذَا كَانَتْ مَعْبُودَاتُهُمْ عَاجِزَةً عَنِ النَّفْعِ الْقَلِيلِ فَعَجْزُهَا عَنِ الْكَثِيرِ أَكْثَرُ.

دَلَالَةُ الْعُطْفِ فِي «وَلَا يَسْتَطِيعُونَ»:

عُطِفَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ قَوْلَهُ تَعَالَى: «وَلَا يَسْتَطِيعُونَ» عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: «لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا» لِتَأْكِيدِ الْمَعْنَى

عَجْزُ مَعْبُودَاتِهِمْ
عَنْ أَيِّ نَفْعٍ
قَلِيلٍ، دَلِيلٌ
عَلَى عَجْزِهَا عَنْ
الْكَثِيرِ

الْأَصْنَامُ لَا
تَمْلِكُ وَلَيْسَ لَهَا
أَيْضًا اسْتَطَاعَةٌ
تَحْصِيلَ لِلْكَثِيرِ

(1) الْغُكْبَرِيُّ، التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ: 803 / 2، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، الذَّرُّ لِلصَّوْنِ: 266 / 7.

(2) حَاشِيَةُ الصَّاوِيَّ عَلَى الْجَلَالِينِ، ص: 1006.

(3) الْبِقَاعِيُّ، نِظْمُ الذَّرْرِ: 213 / 11.

(4) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 221 / 14.

(5) حَاشِيَةُ الصَّاوِيَّ عَلَى تَفْسِيرِ الْجَلَالِينِ، ص: 1006.

(6) الْبِقَاعِيُّ، نِظْمُ الذَّرْرِ: 213 / 11.

العامَّ المُشْتَرَك؛ وهو إثباتُ عَجْزِ أصنامهم عن فعلِ أيِّ شيء، فهي لا تملكُ شيئاً، وليس في استطاعتها أَنْ تَمْلِكْ؛ لأنها ليست أهلاً لذلك⁽¹⁾، ونَفْيُ الاستطاعة بعد نَفْيِ المَلِكِ أبلغُ في الذمِّ⁽²⁾، ولكن في العطفِ إضافةٌ معنَى آخر، وهو أَنَّ مَنْ لَا يَمْلِكُ شيئاً قد يكونُ موصوفاً باستطاعةٍ أَنْ يَتَمَلَّكَه بِطَرِيقٍ مِنَ الطُّرُقِ، فَبَيَّنَ تعالى أَنَّ هذه الأصنامَ لا تَمْلِكُ، وليس لها أيضاً استطاعةٌ تحصيلِ المَلِكِ، وذلك على أحدِ أوجهِ التفسيرِ⁽³⁾، وفي تكرار (لا) مع العطفِ إفادةٌ توكيدِ نَفْيِ هذه الاستطاعة؛ أي: هو حُكْمٌ قاطِعٌ لا استثناءٌ له فيما بعد.

عُودُ الضَّمِيرِ فِي «يَسْتَطِيعُونَ»:

نَفْيُ الاستطاعةِ
عن الأصنامِ
وعن عابديها
أَبْلَغُ في الذَّمِّ

عودُ ضميرِ الجمعِ (الواو) في «يَسْتَطِيعُونَ» في قوله تعالى: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يحتمل وجهين:

الأول: أَنَّهُ عائدٌ إلى «مَا» الموصولة باعتبارِ دلالتها على جماعةِ الأصنامِ المعبودةِ لهم، لإفادةِ أَنَّ هذه الأصنامَ لا تملكُ وليس في استطاعتها تحصيلِ الملكِ، ولولا ذلك لأشكَلُ بأنَّ مَنْ لَا يملكُ شيئاً قد يكون في استطاعته أَنْ يَتَمَلَّكَه بوجه⁽⁴⁾.

الثاني: أَنَّهُ عائدٌ على ما عاد عليه في قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ وهم الكُفَّارُ، والمعنى: ولا يستطيع هؤلاء - مع أَنَّهُم أحياء مُتَصَرِّفُونَ أُولُو الأَبَابِ - من ذلك شيئاً فكيف بالجمادات التي لا حسَّ بها، ولا حياة لها، ولا تستطيع التَّصَرُّفُ؟⁽⁵⁾، أو لا يستطيعون ذلك ببرهان

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 245/20، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 198/8.

(2) ابن جُزَيٍّ، التسهيل: 432/1.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 245/20 - 246، وقد ذكر السمين الحلبي الوجه الآخر وهو: الواو استئنافية، والإخبارُ عنهم بنفي الاستطاعة على سبيل الاستئناف، والسمين الحلبي، الدرر للصون: 268/7.

(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 114/14.

(5) الزمخشري، الكشاف: 621/2، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 234/3.

يُظْهِرُونَهُ وَحُجَّةٌ يُثَبِّتُونَهَا⁽¹⁾، و"عود الضَّمير إِلَى الكُفَّارِ العابدين فيه تفكيك الضَّمير، ولا ضير فيه"⁽²⁾.

نكتة التعبير بالمضارع في ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾:

عبر القرآن بالفعل المضارع ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ للإشارة إلى استمرار حدوث وتجدد نفي استطاعة المعبودين امتلاك الرِّزْقِ والنَّفع ودفع الضَّرِّ لِمَن يَعْبُدُهُمْ، وأنهم لا يتأتَّى ذلك منهم ولا يستقيم حاضراً ومستقبلاً؛ لأنَّهم مخلوقون، وإنَّما الخالق والرازق هو الله وحده سبحانه وإلى جعل ذلك صورةً مُتَجَدِّدةً مُتَكَرِّرَةً في المُخِيلَةِ تستحضر حالتهم في عدم الاستطاعة.

الغرض من حذف مفعول ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾:

حذف البيان القرآني مفعول ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ أي: التقدير: ولا يستطيعونه؛ لأمر:

الأول: للاختصار؛ لدلالة ما قبله عليه، ومفعول ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ هو ضميرُ الملِكِ؛ أي: لا يستطيعون أن يملكوا ذلك، ولا يَمَكِّنُهُمْ، فالكلامُ تَمِيمٌ لسابقه، وفيه من التَّرَقِّي ما فيه، فلا يكونُ نفي استطاعةِ الملِكِ بعد نفي ملكِ الرِّزْقِ غيرَ مُحتاجٍ إليه، وإنَّ جُعلَ المفعولُ ضميرَ الرِّزْقِ يكونُ هذا النفي تأكيداً لما قبله⁽³⁾.

الثاني: لقصد التعميم؛ أي: لا يستطيعون شيئاً؛ لأنَّ تلك الأصنام حجارةٌ لا تقدرُ على شيءٍ⁽⁴⁾.

ويجوزُ أن يكونَ الفعلُ مُنَزَّلاً منزلةَ اللازم، وليس في يستطيعون

حالة الأصنام في
عدم الاستطاعة
مستمرةً
متجددةً

أصنامهم عاجزةٌ
عن كل شيء لا
تستطيعُ الرِّزْقُ
ولا غيره

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 490.

(2) حاشيتا القنوني وابن التمجيد على البيضاوي: 11/ 334.

(3) الألوسي، روح المعاني: 7/ 430.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 222.

ضمير مفعول، فيكون المراد نفي الاستطاعة عنهم مطلقاً، فالمعنى: إنما أنهم لا يملكون أن يرزقوا، أو أنهم أموات لا قدرة لهم أصلاً، فيكون تذييلاً للكلام السابق⁽¹⁾.

نكتة جمع العقلاء مع معبوداتهم غير العاقلة في ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾:

جملة ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ معطوفة على ﴿يَمْلِكُ﴾، فهي من جملة صلة ما؛ أي: ضمير الجمع في ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ عائد إلى جماعة الأصنام المعبودة لهم، وقد استعمل القرآن صيغة الجمع بالواو والنون المختص بأولي العلم مع معبوداتهم غير العاقلة، وهي الأصنام؛ اعتباراً لما يعتقد المشركون أنها آلهة؛ فأجريت عليها صيغة جمع العقلاء؛ مجارةً لاعتقادهم أنها تعقل وتشفع وتستجيب⁽²⁾، وهذا تهكم بهم⁽³⁾، أو باعتبار أن في ما يعبدونه من دون الله من يعقل كعزير وعيسى والملائكة عليهم الصلاة والسلام فغلبهم⁽⁴⁾، أو باعتبار معنى ﴿مَا﴾ لا لفظها⁽⁵⁾؛ إذ المراد بذلك آلهتهم، ويجوز أن يكون الضمير وهو الواو عائداً على العابدين⁽⁶⁾ الكفرة، بمعنى أنهم مع كونهم أحياء متصرفين في الأمور لا يستطيعون من ذلك شيئاً فكيف بالجماد الذي لا حس به⁽⁷⁾، وللتعبير بصيغة الجمع هنا فائدة أخرى، وهي تأكيد حقارتهم؛ لأن ما عجز عند الاجتماع فهو عند الانفراد أعجز؛ والمعنى: ليس لهم نوع استطاعة أصلاً⁽⁸⁾.

(1) الزمخشري، الكشاف: 2/ 621، والزازي الحنفي، أنموذج جليل، ص: 260، والالوسي، روح اللاني:

430 / 7

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 20 / 246، والأنصاري، فتح الرحمن، ص: 310، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14 / 222، وطنطاوي، الوسيط: 8 / 198.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8 / 4221.

(4) الزازي الحنفي، أنموذج جليل، ص: 259.

(5) الزازي الحنفي، أنموذج جليل، ص: 259.

(6) السمين الحلبي، الدر للصون: 7 / 268.

(7) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3 / 234، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5 / 128.

(8) البقاعي، نظم الدرر: 11 / 213.

مجاراة
اعتقادهم
بنفع وشفاعة
أصنامهم تهكم
بهم

❖ الفروق المَجْمِيَّة:

الملك والمُلك:

يتقارب لفظا (الملك) و(المُلك) في دلالاتهما اللغوية، ومن اللغويين مَنْ لم يفرّق بينهما يقول ابن سيده: "المُلك والمُلك والملك احتواء الشيء والقُدرة على الاستبداد به، ملكه يملكه ملكًا وملكًا وملكًا"⁽¹⁾.

وقد فرّق العسكريّ بينهما؛ فذكر أنّ الملك هو استفاضة الملك وسعة المقدور لمن له السياسة والتدبير، والمُلك: استحقاق تصرف الشيء لمن هو أولى من غيره⁽²⁾.

فالمُلك ما مُلك، يُقال: ملك الإنسان الشيء يملكه ملكًا، والاسم: الملك؛ إذ يده فيه قوّة صحيحة⁽³⁾، والمُلك ضربان: ملك هو التملك والتولي، وملك هو القوّة على ذلك، تولى أو لم يتول⁽⁴⁾.

والمُلك: ضبط الشيء المتصرف فيه بالحكم، الملك كالجنس للملك، فكلُّ ملكٍ ملك، وليس كلُّ ملكٍ ملكًا، والمُلك: العظمة والسلطان⁽⁵⁾.

الاستطاعة والقدرّة والطاقة:

رغم التقارب الدلاليّ بين ألفاظ الاستطاعة والقدرّة والطاقة وتعريف كلٍّ منهما بالآخر في المعاجم اللغوية، إلّا أنّ لكلّ لفظٍ من هذه الألفاظ ما يميّز به، فأما من جهة الأصل اللغويّ؛ فإنّ أصل (طَوَعَ) يدلُّ على الإصحاب والانتقاد⁽⁶⁾، وأصل (قَدَرَ) يدلُّ على مَبْلَغ الشيء وكنهه ونهايته⁽⁷⁾، وأصل (طَوَّقَ) يدلُّ على دوران الشيء

الملك ما مُلك،
والمُلك العظمة
والسلطان، لمن
له السياسة
والتدبير

الاستطاعة
انطباع الجوارح
للفعل، والقدرّة
أعمّ، والطاقة
غاية الوسع في
المقدور

(1) ابن سيده، المُحكم: (ملك).

(2) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 182.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ملك).

(4) الزاغب، المفردات، ص: 774.

(5) الزبيديّ، تاج العروس: (ملك).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طوع).

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قدر).

عَلَى الشَّيْءِ، فَكُلُّ مَا اسْتَدَارَ بِشَيْءٍ فَهُوَ طَوْقٌ، ومنه أطاقَ هذا الأمرَ إطاقَةً؛ لَأنَّهُ إذا أَطَاقَهُ فَكَأَنَّهُ قَدْ أَحاطَ بِهِ وَدارَ بِهِ مِنْ جَوَانِبِهِ⁽¹⁾.
 وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى فَالاسْتِطَاعَةُ: الطَّاقَةُ، إِلَّا أَنَّ الاسْتِطَاعَةَ لِلإِنْسَانِ خَاصَّةً، وَالْإِطَاقَةَ عَامَّةً، وَالْاسْتِطَاعَةُ: الطَّاقَةُ وَالْقُدْرَةُ عَلَى الشَّيْءِ⁽²⁾، وَالْاسْتِطَاعَةُ ضِدُّهَا الْعَجْزُ، وَهِيَ أَخْصُّ مِنَ الْقُدْرَةِ⁽³⁾.

وَقَدْ فَرَّقَ الْعَسْكَرِيُّ بَيْنَ الْقُدْرَةِ وَالطَّاقَةِ، فَذَكَرَ أَنَّ الطَّاقَةَ غَايَةَ مَقْدَرَةِ الْقَادِرِ وَاسْتِفْرَاغَ وَسْعِهِ فِي الْمَقْدُورِ، يُقَالُ هَذَا طَاقَتِي؛ أَيُّ: قَدْرُ إِمْكَانِي، وَلَا يُقَالُ لِلَّهِ تَعَالَى مُطِيقٌ لَذَلِكَ.
 وَكَذَلِكَ فَرَّقَ بَيْنَ الْقُدْرَةِ وَالْاسْتِطَاعَةِ: أَنَّ الاسْتِطَاعَةَ انْطِبَاعُ الْجَوَارِحِ لِلْفِعْلِ، فِي قَوْلِكَ طَاعَتْ جَوَارِحَهُ لِلْفِعْلِ؛ أَيُّ: انْقَادَتْ لَهُ، وَالْقُدْرَةُ: هِيَ مَا أَوْجِبَ كَوْنُ الْقَادِرِ عَلَيْهِ قَادِرًا، وَلِذَلِكَ لَا يُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ مُسْتَطِيعٌ، وَيُوصَفُ بِأَنَّهُ قَادِرٌ، وَالْاسْتِطَاعَةُ أَخْصُّ مِنَ الْقُدْرَةِ، فَكُلُّ مُسْتَطِيعٍ قَادِرٌ، وَلَيْسَ كُلُّ قَادِرٍ بِمُسْتَطِيعٍ؛ لِأَنَّ الاسْتِطَاعَةَ: اسْمٌ لِمَعَانٍ يَتِمَّكَّنُ بِهَا الْفَاعِلُ مِمَّا يَرِيدُهُ مِنْ أَحْدَاثِ الْفِعْلِ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءٍ: إِرَادَتُهُ لِلْفِعْلِ، وَقُدْرَتُهُ عَلَى الْفِعْلِ بِحَيْثُ لَا يَكُونُ لَهُ مَانِعٌ مِنْهُ، وَعِلْمُهُ بِالْفِعْلِ، وَتَهَيُّؤُهُ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ الْفِعْلُ⁽⁴⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طوق).

(2) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (طوع).

(3) الرَّاغِب، المفردات، ص: 531.

(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 47 - 48.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والعشرون،
سورة النحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والعشرون، سورة النحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05

[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 27، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-24-1

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 27: المجلد السابع والعشرون، سورة النحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-24-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7597590 بتاريخ 2024/11/15م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»